تحرير - وتطهير - وتعمير

بقلم: فكرى أباظة

ليس لنا من تعليق طويل على زيارة « الدكتور كيسنجر » ولا على نتائج « اليوم ونصف اليوم » اللذين امضاهما في القاهرة : ان القرارات الخمسة او الستة او ما عبروا عنه بالنقاط الخمس او الست ما هى الا « اجراءات » عالجت اوضاع « وقف اطلاق النار » وليس من المبالغة فى القول اننا خرجنا من هذه المباحثات بنتيجة هامة هى « الزام اسرائيل » بان تعود منصاعة الى نفس الوضع فى يوم ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ وسواء ارضيت اسرائيل بهذا رضاء تاما او لم ترض به وسواء حاولت ان تعدل او تبحث عن تفسير او شرح من الولايات المتحدة فهذا لايغير قليلا او كثيرا من انها ارغمت « على التراجع » ...

وخلاصة ما نراه ان هذه بداية اجرائية عمرها قصير فان نجحت وهيأت لمؤتمر مباحثات السلام كان بها ، وان لم تفلح فاننا على اتم استعداد « للمعركة الخامسة » ...

●

عندما يتتبع « الصحفى » او المؤرخ المراحل العديدة العجيبة التى قطعها رئيس هذه الامة ، وقائد جيشها الاعلى من مرحلة تجديد الاتحاد الاشتراكى وتجديد مجلس الشعب والبت ١٤ ، ١٥ مايو الى سيادة القانون - ودولة المؤسسات - الى الدستور الدائم الى ورقة العمل لا عن المستقبل القريب وانما عن المستقبل البعيد ... عندما يتتبع الصحفى او المؤرخ كل هذه « السرعة » فى تصحيح الاوضاع الى يوم « ٦ اكتوبر ١٩٧٣ » الخالد لا يمكن ان ينسى او تفوته « ميزة » اخرى لها حيويتها واهميتها وهى ان الرئيس - بفضل الله سبحانه وتعالى - يتمتع بميزة اخرى هى ميزة « بعد النظر » :

●

١ - سواء اكان « السلام » على مقربة منا فنحن مستعدون له ، وسواء اكانت « الحرب الخامسة » على مقربة منا فنحن مستعدون لها ! ولكن - لا هذا ولا ذاك - يغنينا عن « بعد النظر » ، وعن الاعداد - فورا - الى ما يجب علينا بعد السلام ، او بعد الحرب ، ذلك ان المرحلة الاولى هى مرحلة « التحرير » : « التحرير الشامل » لا سيناء وحدها ، وانما مرتفعات الجولان - والضفة الغربية - والقدس وحقوق شعب فلسطين - هذه المرحلة مرحلة « التحرير » قد اعد لها الرئيس وزراؤه ومعاونوه العدة من هذه « البداية » الى « النهاية » المنتظرة

٢ - من مراحل « بعد النظر » التى فاجأ بها الرئيس المستمعين لخطابه الاخير - بل العالم اجمع - انه اعلن امره باتخاذ الاجراءات الفورية فى المرحلة الثانية وهى مرحلة « التطهير » : تطهير « قناة السويس » لتكون صالحة للملاحة العالمية - وللازدهار العالمى - وقد تولى بالفعل « مشهور احمد مشهور » الرجل الذى عاصر هذه القناة حتى ايامها العصيبة والخبير كل الخبرة بشئونها وشجونها ونترك الاجراءات التى يعدها للتنفيذ الى ان نعود اليها - بتوسع - بعد ان تقطع مراحلها الاولى ويعد ان تكتمل صلاحيتها لهذه المدة القصيرة والعمل شاق ولكن يهونه انه لا المصريون فقط هم الذين يهمهم هذا الانجاز ولا العرب فقط وفى مقدمتهم دول انتاج البترول العربى فقط هم الذين يهمهم ويفيدهم ، هذا الانجاز وانما الدول الاوربية الغربية التى عانت من اغلاق القناة ما عانت ، ومن ارتفاع الاسعار بسبب اللف والدوران حول رأس الرجاء الصالح ما عانت ..

٣ - ومفاجأة اخرى من مفاجآت « بعد النظر » وهى مفاجأة «التعمير» : تعمير سيناء وتعمير مدن القناة ومنها ما يشرف على البحر الابيض وما يشرف على القناة نفسها وما يشرف على البحر الاحمر وفى مقدمتها بور سعيد والاسماعيلية والسويس ... كانت المفاجأة مفاجأة فذة وكان اول من تلقى هذه المفاجأة هو الرجل الموفق فى جميع اعماله والذى انشأ المقاولين العرب : « عثمان احمد عثمان » ومن محاسن الصدف فى الاختيار انه من ابناء العريش - اى من ابناء سيناء - وهو من ابرز العاملين زمنا طويلا فى مدينة « الاسماعيلية » و « السويس » والمهمة مهمة ثقة ومسئولية فى وقت واحد : « الثقة » التى يستحقها من رئيس الدولة « والمسئولية » التى يواجهها فى عمله الشاق على مساحة من الارض واسعة وهى سيناء ، وعلى مدن وموانىء كبيرة كانت من اجهزة الرخاء لمصر والمصريين ، وعمل التعمير لا يقتصر على الناحيتين فقط وانما يمتد ويمتد على الطريق من قناة السويس الى محافظة الشرقية حتى يصل الى القاهرة عاصمة الدولة ... والعجيب ان مهمته الكبرى لا تنتظر ولا تؤجل وانما تبدأ فورا وتعجل والرجل الذى وقع عليه الاختيار من قطاعه الخاص الناجح المتصل بالقطاع العام لن يقف « الروتين الحكومى » امامه حجر عثرة بل المقرر والمقدر ان يجتازه الى حيث يستطيع ان ينشىء فى « سيناء » « مصانع » لاستخراج ثرواتها من المعادن والاسمنت والجبس الى انشاء « مساكن » للشباب الذى لا يجد المسكن الذى يؤسس به بيته الجديد ، والذى يستقر فيه امنا مطمئنا يزاول عمله المجدى النافع فى عدة نواح من سيناء تتوافر فيها الراحة ، ولا نقول من عندنا ان من بين المشروعات مد المياه الحلوة الى الضفة الشرقية لاستزراع الاف الافدنة الصالحة للزراعة ، وكذلك مد المياه الحلوة من الضفة الغربية لاستصلاح مئات الالاف الافدنة الصالحة للزراعة فى الصحراء والمستنقعات والتشييد الجديد للمدن والموانىء سيكون معتمدا على الحجر الصلب لا على الطريقة التى لا تقاوم ما يمكن ان يتهددها من غارات مفاجئة الى غير ذلك من الجديد - والتجديد والابتكار الذى سنعود اليه - مفصلا - فى فرصة اخرى ...

فكرى اباظة